مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية
المجلد (١٧) العدد (٧) تموز (٢٠١٠)

الزجل الأندلسي
(بين النشأة والتطور ودراسة في أغراضه)

د. جمعة حسين يوسف
جامعة تكريت / كلية التربية
قسم اللغة العربية

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة :

الحمد لله ربِّ العالمين والصلاةُ والسلامُ على سيد المرسلين وعلى آلهِ وصحبهِ الغُرِّ الميامين ومن اهتدى بهديهم واقتفى أثرهم الى يوم الدين...

أما بعد:

يُعَدُّ الأدبُ الأندلسيُّ من التراث العربي الذي خَلَّدُه لنا التأريخ لثمانية قرون مضت،إذ سُمِّيتْ بـ(الفردوس المفقود)،وهو ادب يضاف إلى حضارة وتراث الأدب العربي بجملته، وفي أغلب الأغراض ولا سيما في بداياته، قد عُدّ الأدب الأندلسي مقلداً لأصلهِ المشرقي حتى وان أبدع في مجال اغراضه وألوانه إلاّ انّ الآراء تنظر إلى أنه ادب مقلد ولا يرون جديداً فيه، وهذا مذهب متطرف في الحكم على الادب الاندلسي، حتى استجدت في الأندلس فنون جديدة وظهرت على الساحة الأدبية الوان واغراض وأشكال من الشعر ولاسيما الموشح والزجل، ومنها نرى التجديد والابتكار في الأدب الأندلسي، إذ تضاف هذه الفنون إلى إبداع أدباء الأندلس الذي يُعَدّ من جديدهم، وبهذهِ الفنون استطاعوا أن يفلتوا من نظرة التقليد ويصبحوا أصلا يقلدهم الآخرون وان بقيت بعض الشكوك من بعض الباحثين حول هذه الجدة إذ وصفهم أيضاً بالتقليد، لذلك أردنا بهذا البحث المتواضع الموسوم بـ(الزجل الأندلسي بين النشأة والتطور ودراسة في أغراضه) أن نكشف عن هذا المصطلح، وعن أصالتهِ، ونسبته للأندلس، ونضيفه الى ميزانهم الأدبي، وان أُخذتْ على هذا الأدب بعض المآخذ، فمنها أنَّهُ يعتمد على اللغة العامية

في تأليفه، ويرى بعضهم أنَّ ذلك لا يُعَدُّ عيبا، إذا انه يعالج موضوعاً اجتماعياً لعامة الشعب، او أنَّه ظهر من الوسط العامي لتلبية حاجة المجتمع في حقبة معينة من الزمن.

تطرقنا في هذا البحث إلى ثلاثة محاور، اختصَّ المحور الأول في تحديد مصطلح الزجل واصله ونشأته، ويتمحور فيه محاولتنا لمعرفة نشأته وأسبابها ومعرفة أصله ومن الذي اخترعه لغرض إثبات أصله الأندلسي، وفي المحور الثاني وقفنا على أجزاء الزجل والتعريف بها مع الشواهد الشعرية عليها، ثم كان المحور الأخير الذي وضحنا فيه أهم الإغراض التي نُظِم فيها فن الزجل، ثم اجبنا على سؤال مفترض، هل اعتمد الشعراء في فن الزجل غرضاً واحداً ام انهم نظموا في أكثر من غرض؟ مع تحليل يسير لبعض الأزجال كشاهد على ما ذهبنا اليه، تلا ذلك خلاصة بأهم النتائج التي توصل إليها البحث مع بعض التوصيات.

وهذا البحث محاولة منا لدراسة فن الزجل، وهو وان كان متواضعاً لكن نأمل ان يكون فاتحة لأبواب اخرى أمام الباحثين والدارسين، إذ نلحظ أنَّ هناك فتوراً واضحاً لدى الباحثين في دراسة هذا الفن، فتوراً لا يتناسب مع أهميته وإبداعه، إذ يمكن دراسته فنياً وموضوعياً، فضلا عن دراسته تراثياً من خلال مضامينه الدينية والتاريخية والاجتماعية والأدبية.

وفي الختام اقول إن وفقت في الكشف عن جوانب هذا الفن الشعري فذلك فضل من الله تعالى وإنْ قصرت فالكمال صفة لله تعالى وحده، وآخر دعوانا أن الحمدُ لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على النبي الأمين محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

المبحث الأول

١. تحديد مصطلح الزجل

الزَّجَلُ لغةً:

هو رفع الصوت بالطرب يقال حَادٍ زَجِلٌ ومغنَ زَجِلٌ وقد زَجِلَ يزجل زجل (١) والزجل بالتحريك اللعب والجلبة ورفع الصوت وخُصَّ به التطريب وأنشد سيبويه : له زجلٌ كأنّهُ صوت حادٍ إذا طلبَ الوسيقةَ أو زمير

وقد زجلَ زجلاً فهو زجِلُ وزاجل وربما أوقع الزاجل على الغناء قال وهو يُغنيها غناء زاجلا، وقال : يا ليتنا كنا حمامي زاجل، ويقال ان الملائكة لهم زجل بالتسبيح أي صوت رفيع عال، وسحاب ذو زجل أي ذو رعد، وغيث زجل لرعده، ونبت زجل صوتت فيه الريح (٢).

وزَجِلَ زَجَلاً : طرَّب وتغنَّى ورفع صوتهُ وأجلب، وزَجَلُ الجنِّ عزيفها، والزُجْلة جمع زُجَل : الجماعة من الناس، والزَجْلة جمع زَجَلات : صوت الناس وضجيجهم(٣) إذن اقرب معنى إلى فن الزجل وربما أُخذ منه، هو الطرب والتغني بصوت مرتفع، وهذا كان أساس معنى الزجل ومنه أخذ فن الزجل إذ هو فن أُنْشئ للتغني به وليس لقراءته.

الزجل اصطلاحاً :

لعل المعنى الاصطلاحي للزجل مأخوذ من المعنى اللغوي إذ يكاد يكون المعنى نفسه، ومن ذلك يمكن أنْ نسمّي هذا الفن بفن الصوت، لأنه وُجِدَ لأجل الغناء أصلا وليس للقراءة، فهو " لا يُلتذّ به ولا يفهم مقاطيع أوزانه ولزوم قوافيه حتى يُغَنَّى به ويُصَوَّت، فيزول اللبس بذلك"(٤)ومن هذا جاء تسميته بالزجل، وهو شعر شعبي عامي فقد عرفه ابن خلدون بأنه " فن العامة بالأندلس من الشعر "(٥) وهو في نظر ابن سعيد الأندلسي : شعر منظوم بكلام عامة الناس(٦)، وجاءت هذه التعريفات تعرفه من جهة اللغة التي كُتب بها، بينما نجد آنخل جنثالث بالنثيا يعرفه بحسب تركيبه او من جهة أجزائه وفقراته فيقول : " أما الزجل فشعر يصاغ في فقرات تُسمى أبياتاً.وتبدأ مقطوعته ببيت يعرف "بالمركز" أو "السمط"، تليه أغصان ذات قافية

واحدة ووزن واحد، يتكون الغصن منها من ثلاث مصاريع أو أكثر، ثم يعقبها بيت في نفس وزن المركز وقافيته، وهكذا." (٧)

ونلحظ من المعنى اللغوي للزجل انه مرتبط بالصوت ولا سيما الطرب الجميل، ومن هذا المعنى أُخذ مصطلح الزجل على هذا الفن الأدبي، لأنه فن ظهر أساسا للغناء ومن ذلك قالوا : ان الزجل يُسمع أحسن مما يقرأ وذلك لأنه كُتب بلغة عامية، ولا تستطيع جميع الحروف ان تعبر عن هذه اللهجة، إذ بعض الحروف تتغير بالنطق من لهجة إلى أخرى، فضلا عن ذلك فان في بعض اللهجات حروفاً او أصواتاً غير عربية فصيحة إذ تكون ما بين حرفين او صوتين مثل ما تكون من أصوات ما بين (الجيم والقاف أو الكاف)..فتكتب جيم تحتها ثلاث نقاط او كاف فوقه فتحة حتى يعرف الصوت المطلوب..او يلفظ حرف مكان آخر مثل لسان المغاربة والمصريين يبدلون(الضاد دالاً)(٨) وغيره، بالاضافة الى أنَّ الأزجال كتبت بلغة عامية، لاتتقيد بقواعد اللغة العربية، فلذلك يميل مغني او قارئ الزجل إلى مد بعض الحروف او تغيير صوته ليستقيم كلامه ويتوازن، وبذلك يفهم ويزول اللبس.

ونخلص من هذا الكلام في تحديد المصطلح، الى أنَّ مصطلح الزجل واضح، وهو ما أطلق على ذلك الشعر العامي الذي كُتب للغناء في الأندلس . وغيرها من البلدان العربية . متحررا من قواعد الإعراب، إذن هو مصطلح لم يواجه مشاكل في تسميته منذ البدء، على خلاف غيره من المصطلحات الأدبية التي لم تستقر إلا بعد ردحٍ من الزمن، وتوالي المسميات عليه.

٢. أصل الزجل ونشأته:

يكاد يتفق الدارسون بالإجماع، إن الزجل فن استحدث في الأندلس وان الأندلسيين هم مخترعوه، ولكنهم اختلفوا في أصله . اي الزجل . فمنهم من يرده إلى الأغنية الشعبية ثم يرجعه إلى الأصل الاسباني، ومنهم من قال انه استحدث من الموشح، ومنهم من قال إنَّهُ ظهر مستقلا إلى جانب الموشح وكل فريق يقدم أدلته التي يدعم به فكرته ويقوي حجته(٩). وأول ما ظهر الزجل كان على شكل القصائد المعربة التقليدية في التزامها بالوزن والقافية، ولا يختلف عنها بشيء غير اللحن والإعراب واللغة، وفي ذلك يقول صفي الدين الحلي :" وأول ما نظموا

من الأزجال جعلوها قصائد مقصّدة، وأبياتاً مجردة في أبحر عروض العرب، بقافية واحدة كالقريض، لا تغايره بغير اللفظ، وسمّوها القصائدة الزجلية"([١٠])، ومن ذلك يمكن ان نحدد المراحل التي مر بها الزجل وتطور إلى ان وصل إلى شكله النهائي وهي ثلاث مراحل :

الأولى : مرحلة الأغنية الشعبية التي لم تكن لها أصول وقواعد، إذ يرى بعض الدارسين إن الزجل بدأ بالأغنية الشعبية فلذلك ضاعت أصوله الأولى حاله كحال أي فن شعبي.وفي ذلك يقول د. أحسان عباس " ولقد يكون التساؤل عن مخترع الزجل أمراً معقولاً، إما التساؤل عن مخترع الزجل فانه من قبيل الجهد الضائع، لأن الأغنية الشعبية تضل في العادة جهد (جنود مجهولين). ولا بد انه مضى وقت غير قصير قبل إن ينتقل هذا اللون من الشعبية الخالصة إلى يد الفرد الزجّال الذي يمنحه قوة في شخصيته وتفننه. ولذلك لم نجد نماذج مبكرة من الزجل إلا في منتصف القرن الخامس، عندما نشأت طبقة الزجالين التي خلفَّها ابن قزمان ومنهم يخلف ابن راشد وغيره. وهذا هو الذي أوهم من ظنوا أنَّ الزجل كان محاكاة للموشح، لأنَّ أقدم ما وصلنا من الموشح سابق على ما وصلنا من الأزجال."([١١])

وبهذا الرأي نستدل،بأنَّ الزجل أقدم من الموشح وليس هو محاكاة للموشح.

المرحلة الثانية : هي مرحلة أكثر تجديداً وتطوراً لتلك الأغنية وذلك بوضع الأصول والقواعد لهذا الزجل، وفي هذه المرحلة بدأ الزجل يخضع لبعض القوانين الزجلية . إذا صح التعبير . وان لم تظهر صورته النهائية.

المرحلة الثالثة : وهي مرحلة النضج والتكامل التي وضع قوانينها وقنن لها ابن قزمان الذي أصبح فيما بعد إمام الزجالين والذي لم يُعرف الزجل بمعزل عنه([١٢]).

وهناك من يضيف مرحلة رابعة : وهي المرحلة التي أعقبت وفاة (ابن قزمان ت٥٥٥هـ)([١٣]) وزوال دولة المرابطين وظهور دولة الموحدين التي كان عصرها بداية المرحلة الرابعة من مراحل الزجل، والذي اشتهر فيه الزجل على يد الزجال المعروف باسم مَدْغَلِيّس واسمه احمد بن الحاج([١٤])، وهو الذي قال فيه المقري :"كان مَدغليّس هذا مشهوراً بالانطباع والصنعة في الأزجال، خليفة ابن قزمان في الزجالين في زمانه، وكان أهل الأندلس يقولون : ابن قزمان في الزجالين بمنزلة المتنبي في الشعراء، ومَدغَليّس بمنزلة أبي تمام، بالنظر إلى الانطباع

والصناعة فابن قزمان مُلتفتٌ الى المعنى، ومدغليس مُلتفت إلى اللفظ، وكان أديباً مُعرِباً لكلامه مثل ابن قزمان، ولكنه لما رأى نفسه في الزجل أنجب اقتصر عليه ومن شعره قوله:"([١٥])

ما ضركم لو كتبتم حرفا ولو باليسار
إذ أنتم نور عيني ومطلبي واختياري

ويرى ابن خلدون ان الزجل مستحدث من الموشح وهذا ما يتضح من قوله: " ولما شاع فن التوشيح في أهل الأندلس واخذ به الجمهور، لسلاسته وتنميق كلامه وترصيع أجزائه، نسجت العامة من أهل الأمصار على منواله، ونظموا في طريقته بلغتهم الحضرية من غير أن يلتزموا فيها إعراباً، واستحدثوا فنّاً سمّوه بالزجل، والتزموا النظم فيه على مناحيهم لهذا العهد، فجاءوا بالغرائب، واتسع فيه للبلاغة مجال، بحسب لغتهم المستعجمة، وأول من أبدع في هذه الطريقة الزجلية أبو بكر ابن قزمان وإن كانت قيلت قبله بالأندلس لكن لم تظهر حلاها ولا انسكبت معانيها واشتهرت رشاقتها إلاَّ في زمانه وكان لعهد الملثمين وهو إمام الزجالين على الإطلاق قال ابن سعيد رأيت أزجاله مروية ببغداد أكثر مما رأيتها بحواضر المغرب"([١٦]) وقد ذهب الى هذا الرأي ايضاً الدكتور احمد أمين إذ يقول:" ليست الأزجال الا موشّحات تقال بلغة عامية "([١٧]) ومن ذلك يورد لنا نصاً من الزجل لابن قزمان، فيقول وقد خرج إلى منتزه مع بعض أصحابه، فجلسوا تحت عريش، وأمامهم تمثال أسدٍ من رخام يخرج الماء من فيه على صفائح من حجر([١٨]) :

وعـــريشْ قـــد قـــامْ علـــى دكَّـــانْ بـحـــــــــــــــــــال رواقْ
وأســـــدْ قـــــد ابتلـــــعْ ثعبـــــانْ فـــــــي غِلْـــــــظِ ســـــــاقْ
وفَـــــتَحْ فَمـــــو بحـــــالْ إنســـــان بـــــــــــه الفُـــــــــــوَاقْ
وانْطَـــقْ يجـــري عَلَـــى الصـــفاحْ وألْقـــــــــــى الصّـــــــــياح
...الخ

ونلاحظ رأي ابن خلدون واحمد أمين يختلف مع رأي د.احسان عباس، إذ يرون ان الزجل فن مستحدث من الموشح، بينما يرى د.احسان عباس، أنَّ الزجل أقدم من الموشح، لأنَّه وجِدَ من الأغنية الشعبية، والأغنية الشعبية سابقة للموشح، وإذا أردنا التوفيق بين الآراء، فإننا

نجد كليهما على صواب من وجهة نظره، ولكن هناك لبس في تحديد المراد، فقد حدد د. احسان عباس الزجل على أساس أصوله الغنائية المستمدة من الأغنية الشعبية، ولكن هذه الأغنية لم تكون على هذه الصورة من الزجل الذي استقر على يد الزجال ابن قزمان، الذي قنن له وحدد اتجاهاته، بينما ذهب ابن خلدون واحمد آمين إلى تحديد الزجل على أساس الزجل الناضج التام الذي استقر على يد ابن قزمان، لذلك وجدوه يشبه الموشح في أجزائه وتراكيبه،ويختلف عنه فقط في لغته العامية غير المعربة،وهذه المرحلة متأخرة عن الموشح لذلك عدوه . أي الزجل . فناً مستحدثاً من الموشح.

٣. سبب ظهوره :

ظهر هذا الفن لتلبية وإشباع رغبات العامة في الغناء، وذلك بسبب مناخهم وطبيعتهم الميالة إلى الترف واللهو، ولم يعد الشعر الفصيح يلبي تلك الرغبات الجامحة فضلاً عن أنَّهُ . أي الفصيح . لايكون قريباً من نفوسهم كالعامي المتداول بينهم، فمما دعاهم إلى الزجل، هو ما أحسّوا به من ثقل القيود في الشعر الفصيح، من أوزان ووحدة قافية وقيود إعراب، فحصل أن هاج شعراء الأندلس على هذه القواعد والاوزان كما هاج أبو نؤاس على بكاء الأطلال، ولكن ابا نؤاس رجع وبكى الأطلال،([١٩]) بينما الزجل لم يرجع إلى قواعد الإعراب والفصيح ولكنه التزم بالعامي مع خروجه على الأوزان المألوفة.

ومن الأسباب الأخرى المشجعة على ظهور هذا اللون من الشعر، هو عسر فهم الشعر الفصيح على كثير من سكان الأندلس من العامة والخاصة والأعاجم، ولا سيما حينما استولى البربر على مقاليد الأمور في عهد المرابطين، ومن الطريف في ذلك ما ترويه لنا المصادر عما حدث ما بين المعتمد بن عباد الأمير الشاعر ويوسف بن تاشفين البربري أمير المرابطين الذي توسط له ابن عباد عند الشعراء كي يمدحوه، " لولا توسط ابن عباد لشعراء الأندلس في مدحه ما أجروا له ذكرا ولا رفعوا لملكه قدراً وبعدما ذكروه بوساطة المعتمد ابن عباد فإن المعتمد قال له وقد أنشدوه أيعلم أمير المسلمين ما قالوه قال لا أعلم ولكنهم يطلبون الخبز ولما انصرف عن المعتمد إلى حضرة ملكه كتب له المعتمد رسالة فيها :

بنـــتم وبنـــا فمـــا ابتلـــت جوانحنـــا شـــوقا إلـــيكم ولا جفـــت مآقينـــا
حالـــت لفقـــدكم أيامنـــا فغـــدت ســـوداً وكانـــت بكـــم بيضـــاً لياليـنـــا

فلما قرئ عليه هذان البيتان قال للقارئ يطلب منا جواري سوداً وبيضاً قال لا يا مولانا ما أراد إلا أن ليله كان بقرب أمير المسلمين نهاراً لأنَّ ليالي السرور بيض فعاد نهاره ببعده ليلا لأنَّ أيام الحزن ليال سود فقال والله جيد أكتب له في جوابه إن دموعنا تجري عليه، ورؤسنا توجعنا من بعده"([٢٠]). ولا نعيب على ابن تاشفين في هذا الأمر، لأن هذا حدود فهمه للغة، وذلك يعود لأصله البربري، ولو كان احدنا مكانه ربما فَسَّرَ هذه الأبيات بنفس تفسيره او اقل، ولكن الشاهد هنا على عدم إتقان العربية من قبل كثير من الناس، فدعت الحاجة الى ظهور فن يكون بمستوى تفكيرهم وإدراكهم ويلبي رغباتهم، فكان ذلك الفن هو الزجل الذي شاع أمره في المشرق والمغرب.

٤ـ أهميته:

لم يكن هذا اللون من الشعر معدوم الأهمية، فهو فضلا عن إشباعه لرغبات العامة من الأندلسيين في الغناء والطرب،ففيه أيضا ألوان من البلاغة كالاستعارات والكنايات والتشبيهات ما لايقل عما في اللغة الفصحى. وليست كلها هزلاً ومجوناً، بل قد يكون فيها جِدّ ووعظ ودعوة إلى أخلاق عالية، عدا ما فيها من ألوان البلاغة([٢١])، فضلا عن اهميته في نقل صورة واضحة ودقيقة عن حياة المجتمع الاندلسي بادق تفاصيله، ولذلك يمكن من خلاله دراسة الحياة الاجتماعية للاندلسين ومعرفة عادتهم وتقاليدهم التي كانت سائدة آنذاك.

المبحث الثاني

بناؤه وأجزاؤه :

اتضح من نشوء الزجل أنَّهُ اقتفى آثار الموشح، وانه كان للأغنية الشعبية التي ظهرت في البيئة الأندلسية منذ عهودها القديمة الأثر في استقلال الزجل وتطوره([٢٢]) فمن هذا نعرف

أنَّ بناء الزجل يخضع لبعض القيود التي تخضع لها الموشحة، وان أجزاء الزجل تشبه أجزاء الموشح ، والاختلاف يكون في اللغة فقط وليس في الشكل، وتعريف بالنثيا السابق يوضح لنا أجزاء الزجل بقوله: " أما الزجل فشعر يصاغ في فقرات تُسمى أبياتاً.وتبدأ مقطوعته ببيت يعرف "بالمركز" أو "السمط"، تليه أغصان ذات قافية واحدة ووزن واحد، يتكون الغصن منها من ثلاث مصاريع أو أكثر، ثم يعقبها بيت في نفس وزن المركز وقافيته، وهكذا"([٢٣])

وهناك خلاف في تسمية الأجزاء ولاسيما ما بين(السمط والغصن) فيأخذ كل منهما مكان الآخر، وقد اصطلح اهل هذا الفن تسميات متنوعة لأجزائه، فهو يستفتح كالموشحة بالمذهب او المطلع او المركز: وهي المجموعة الأولى من الأغصان، ويتكون عادة من غصنين او أربعة أغصان او أكثر على وفق رغبة الزجال فأن ابتدأ بها فيسمى الزجل حينئذٍ(متسلسلا) وان لم يبتدئ بها . أي يبدأ بالأدوار . فيسمى (زريابيا). ([٢٤])

ويلي ذلك (الدور)، وكل دور ينتهي بقفل مكوناً من غصنين اثنين وفي القليل النادر يتكون من أربعة أغصان، وتكون قافية القفل متحدة مع قافية المطلع. أما الأدوار فإنَّ لِكُلِّ واحدٍ منها قافيته الخاصة به، ويتكون الدور عادة من ثلاثة قسيمات، تكون أحيانا قسيمات بسيطة، وأحيانا قسيمات مركبة، وفي الحالة الأخيرة يكون الدور مكونا من ست أسماط . وقد سماها بالنثيا أغصان .، ووحدة القافية أمر أساسي في الدور إذا كان بسيطا، وفي أعجاز المصراعات إذا كان مركبا، وينتهي الزجل عادة بخرجة من بحر وقافية المطلع والقفل([٢٥])، إذن المطلع والقفل والخرجة يتفقون في البحر والقافية، ولكن المطلع يكون عادة من أربعة أغصان أما القفل والخرجة فمن غصنين،. وفي القليل النادر يتساوى المطلع مع القفل مع الخرجة . وبهذا يختلف الزجل عن الموشح الذي تتساوى أجزاؤه في المطلع والقفل والخرجة مع اتفاق في الوزن.

ولمزيد من التوضيح سوف نذكر هنا قصيدة زجلية مع التأشير على جميع أجزائها وهي للزجال المشهور مدغلّيس ([٢٦]):

المطلع او المركز ثلاث أشيا فالبساتين لس تجد في كل موضع
وهو من ٤ أغصان النسيم والخضر والطير شم وأتنزه واسمع

. الدور الاول	قـــم تـــرى النـــسيم يولـــول	والطيـــور علـــه تغـــرد
٦ أسماط	والثمـــــار تنثـــــر جـــــواهر	فـــي بســـاط مـــن الزمـــرد
الـــدور مـــع القفـــل	وبوســـــط المـــــرج الأخـــــضر	ســـقى كالســـيف المجـــرد
يسمى بيت	شبـــــهت بالســـــيف لـــــما	شـــفت الغـــدير مـــدرع
. القفل الأول	ورذاذا دق ينـــــــــــــــزل	وشـــعاع الشـــمس يضـــرب
	فـــــترى الـــــواحد يـــــفضض	وتـــرى الآخـــر يـــذهب
	والنبـــــات يشـــــرب ويســـــكر	والغصـــون تـــرقص وتطـــرب
. الدور الثاني	وتـــــــريد تـــــــجي إلـــــــينا	ثـــم تســـتحي وترجـــع
. القفل الثاني	وجـــوار بحـــل حـــور العـــين	فـــي ريـــاض تشـــبه لجنـــا
	وعشـــــــــــية قصـــــــــــيرا	تنظـــــر الخلـــــع تجنـــــا
	لـــــش تريـــــد نفارقوهـــــا	وهـــي تحمـــل طاقـــا عنـــا
. الدور الثالث	وكـــــأن الشـــــمس فيـــــها	وجـــه عاشـــق إذ يـــودع
. القفل الثالث	إستمـــــع أم الـــــحسن كـــــف	تلهمـــك إلـــى الخلاعـــا
	بنعـــــم تـــــرد الأشـــــياخ	للمجـــــون وللرقاعـــــا
	غـــــردت مـــــن غـــــدو لليـــــل	ومـــا كـــررت صـــناعا

. الدور الرابع يـــسمع الخـــليع غنـــاها ويحـــس قلـــب يخلـــع

– الخرجة

فاجزاء الزجل إذن هي :

١ .المذهب او المطلع او المركز: وهي المجموعة الأولى من الأغصان، ويتكون عادة من غصنين او أربعة أغصان او أكثر حسب رغبة الزجال فأن ابتدأ بها فيسمى الزجل (متسلسلا)ويسمى الموشح (تاماً) وان لم يبتدئ بها . أي يبدأ بالأدوار . سميَّ (زريابيا)وفي الموشح يسمى (اقرع)، فهذا المطلع متكون من أربعة أغصان.

ثـــلاث أشيـــا فالبـــساتين لـــس تجـــد فـــي كـــل موضـــع
النسيـــم والـــخضر والطـــير شـــم وأتنـــزه واســـمع

٢. الأغصان : مفردها غصن، وهو القسم الواحد من المطلع او القفل او الخرجة

٣. الدور :وهو الذي يلي المطلع او القفل، ويتكون عادة من ثلاث قسيمات ويسمى كل قسم بالسمط وتعتمد على قافية واحدة في الدور الواحد وتختلف عنها في الدور الآخر .

قـــم تـــرى النـــسيم يولـــول والطيـــور علـــه تغـــرد
والثمـــار تنثـــر جـــواهر فـــي بســـاط مـــن الزمـــرد
وبوســـط المـــرج الأخـــضر ســـقى كالســـيف المجـــرد

فقد التزم في هذا الدور بقافية الدال، اما في الدور الثاني فقد التزم قافية اخرى وهي الباء:

ورذاذا دق ينـــــــــــــــزل وشـــــعاع الشـــــمس يضـــــرب
فـــــترى الـــــواحد يـــــفضض وتـــــرى الآخـــــر يـــــذهب
والنبـــات يشـــرب ويســـكر والغصـــون تـــرقص وتطـــرب

وهكذا في باقي الأدوار..

٤ .الأقفال وهو مجموعة الأغصان التي تلي الأدوار- ما عدا آخر دور لانه في حينها يسمى خرجة . ويتفق القفل مع المطلع في الوزن والقافية ولكنه يتكون من غصنين فقط ونادراً ما يكون من اربعة اغصان كالمطلع، والدور مع القفل الذي يليه يسمى بيتاً كالآتي :

{فهذا الدور الأول مع القفل الأول يسمى البيت الأول وهكذا مع بقيت الأبيات}

قم ترى النسيم يولول والطيور عليه تغرد
والثمار تنثر جواهر في بساط من الزمرد
وبوسط المرج الأخضر سقى كالسيف المجرد
شبهت بالسيف لما شفت الغدير مدرع

٦. الخرجة : وهي القفل الأخير في الموشح او الزجل، وهي أهم جزء فيه وقيل في تسميتها (خرجة) لأن فيها خروج عن الأبيات التي قبلها من جهة اللغة والمعنى، وقالوا فيها " هي ملحة وسكرة وعنبرة وابزارة وهي العاقبة وينبغي ان تكون حميدة والخاتمة بل السابقة، وان كانت الاخيرة والسابقة لانها ينبغي ان يسبق الخاطر إليها " ([٢٧]).

يصفها إبراهيم أنيس : بأنها استجابة فنية اقتضتها حاجة في مجالس لهوهم من العبث والمجون لانسجام هذا النظم مع كلام العامة وتحلله من بعض القيود، ولاسيما الإعراب. ([٢٨]) فالخرجة إذن هي مسك ختام الزجل ومكمن ابداعه، ومثال الخرجة هو :

يسمع الخليع عناها ويحس قلب يخلع

والمثال السابق هو على الزجل المتسلسل او التام، أما النوع الآخر من الزجل، وهو الزريابي او الأقرع، فهو ما يحذف منه المطلع ويبدأ الزجال بالأدوار أولاً ([٢٩]).

المبحث الثالث

أغراضه الشعرية :

قد عرفنا ان الزجل سُمي بالشعر الغنائي وعلى هذا الأساس فهو يدخل ضمن جنس الشعر، وبما انه أصبح شعرا لابد من انه تطرق إلى الأغراض الشعرية التي تطرق إليها الشعر الفصيح، على الرغم من انه اعتمد في بداية نشوئه على غرض واحد وهو الغزل والمجون، ولكن ما برح ان نجده في وصف الطبيعة والخمر، والمديح، والهجاء، والتصوف وغيرها من الأغراض، لذلك سوف نحاول ان نذكر عدد من الأزجال تمثل تلك الأغراض مبتدئين بأصل الزجل وهو الغزل.

١. الغزل : ويرتبط عادة بالملح والخمر ومن ذلك قول الزجال ابي بكر ابن قزمان منه قوله([٣٠]):

وله لو زارني صاحب التفريق قد كان نفيق

حتى نرى مثل ما قدريت من الأمل

فما حلو لا تقول سكر ولا عسل

يقبل الروح ولا يدري طيب القبل

لس يربح القبل والتعنيق غير العشيق

شربت سرك وه عندي جل المنى

وقمت للرقص بأكمامي على الغنا

وأصبح الناس يذكر الله وأصبحت أنا

ما بين الأشكال سكران غريق

ونلحظ من هذه الأبيات أشارة الى إعراض الشاعر عن الزواج والاستقرار، إذ انه يجد اللذة فقط في العشق، والعشيق هو فقط الذي يلتذ بالتعنيق والتقبيل، وهو كعادته يصبغ أزجاله

بألوان الخمر ولا يفيق من سكره حتى الصباح فالناس تصبح على ذكر الله والشاعر غارقٌ في سكره متمادٍ في مجونه.

٢. وصف الطبيعة : وهو احد الألوان الثلاثة التي تفوق فيه الأندلسيون على المشرق وهي (شعر الطبيعة،وشعر الحب،والشعر الحزين)([٣١])، ولم يتخلف الزجالون عن الشعراء والوشاحين في الاهتمام بهذا الموضوع، بل أنهم تفننوا في أزجالهم بوصف الطبيعة ومزجوها بموضوعات أخرى ولاسيما وصف الخمرة التي تعد من الصق المواضيع بهذا الغرض، ويتمادى الشاعر في وصف الخمر والاعراض عن النصح، حتى انه لا يسمع نصيحة النُّصاح ويستهزئ بهم في أزجاله، ومن ذلك ما يذكره من نصيحة الفقيه له بترك الخمر والتوبة الى الله تعالى، فيتعجب من طلب الفقيه ويتساءل كيف يتوب في هذه الطبيعة الخلابة، الجميلة المنظر، العابقة العطر والزهر في وسط الربيع والثمار، والكأس والراح والعشيقة بلا رقيب وكأنه في جنان الخلد، ولكن بدلا ان يشكر الله تعالى على هذه النعم، يتخذها مسوغا للشرب والفسق والمجون، وفي هذه الازجال يمزج الشاعر ما بين وصف الطبيعة والخمر في قوله([٣٢]):

تـــدر اش قـــال لـــي الفقـــي تـــب ... إن ذا فضـــــــول واحمـــــــق
كـــف نتـــوب والـــروض زاهـــر ... والنســـيم كالمســـك يعبـــق
والربيـــــع ينشـــــر عـــــلام ... مثـــــل ســـــلطانا مويـــــد
والثمـــــار تنثـــــر حليـــــة ... بثيـــاب بحـــل زبرجـــد
والريـــاض تلـــبس غـــلالا ... مـــن نبـــات فحـــل زمـــرد
والبهـــار مـــع البنفســـج ... يـــا جمـــال أبـــيض فـــي أزرق
والنـــــدى والخيـــــر والآس ... والـــــراح والظـــــل والمـــــا
والملـــيح خلطـــي مهـــاود ... والرقيـــب أصـــم أعمـــى
وزميـــر مـــن فـــم ســـاحر ... وغنـــا مـــن كـــف ســـلمى
والزجـــاج ملـــح مجـــزع ... والشـــراب أصـــفر مـــروق
يـــا شـــرابا مـــر مـــا أحـــلاك ... علقـــم آت ممـــزوج بســـكر
بالـــــذي رزقـــــن حبـــــك ... مـــن نشـــر عليـــك جـــوهر

وتـــرى لـــش تشـــتكي ضـــر لـــش نـــراك رقيـــق أصـــفر
مـــا أظـــن إلا ألـــم بيـــك أو ملـــيح لا شـــك تعشـــق
ذا الطريـــق يعجـــبن يـــا قـــوم مـــا أملـــح ومـــا أجـــل
أي نبـــل أقـــل ل خليـــه وســـمع ممـــا أقـــل ل
يـــا صـــديقي لـــس نـــراع يـــا صـــديقي لـــس نمـــل
قـــل لـــي كـــف نتـــرك ذا الأشـــيا قصـــة حقيـــق بـــالحق
ونجـــوم الســـعد تطلـــع ونـــوار الـــيمن تفـــتح
وغنـــــــا ودن دن دن ولعـــب وكـــح كـــح كـــح
وارتفـــع عنـــي يـــا راجـــل انســـلخ عكـــان أح أح
القطـــع فـــز عـــن يـــام تركـــف يعمـــل لـــي بـــق بـــق

ويقول ابن قزمان في الخمر وفيه إفراط شديد عليها بما ينافي الدين والشرع الإسلامي، ولكن بروح خفيفة فيها شيءٌ من الفكاهة، وهذه دعواه في اغلب الاحيان، كما في قوله زاجلا([٣٣]):

لـــيس عنـــدي قـــوام ولاه فـــلاح
إلا شـــرب الشـــراب وعشـــق المـــلاح
نرضـــي إبلـــيس إلـــى متـــى ذا العقـــوق
فـــه شـــيخي ولـــه علـــي حقـــوق
والشـــريبة مفتـــاح لكـــل فســـوق
فـــي لســـاني نـــربط ذك المفتـــاح
أيهـــا النـــاس وصـــيتي للجميـــع
مـــن خـــلاع فـــإن اليـــوم خليـــع
ولا نمشـــوا إلا بكـــاس أو قطيـــع
وســـكارى إيـــك لا تمشـــو صـــحاح

اســـكت اســـكت هـــذا الحـــديث يمضـــغ
فقـــــلاده فـــــي عنـــــق مـــــن بلـــــغ
إن داره محمـــــــــد بـــــــن أصـــــــبغ
خمـــس مـــت ســـوط يحـــس للبـــراح
إنمـــــا بـــــع ل المـــــري بالنهـــــار
فـــإذا كنـــت وقـــت رقـــاد فـــي دار
ارخ شـــف وارضـــع فـــي هـــذا العقـــار
لا تقـــع لـــك قطـــاع فـــي اصـــطباح
فـــإن أصـــبحت وفـــي دماغـــك ثقـــل
حـــج فالـــدار إن كـــان لراســـك عقـــل
ويكـــــون الغـــــذا لحـــــم ببقـــــل

ثم ينتقل الشاعر في زجله من ذكر الخمر الى الدعوة الدينية والنصح بالنهوض صباحا للصلاة والتسبيح، ويعقد حواراً على لسان الغائب مع فقيه حول شرب المدام ينصحه بالنكران ، وعدم الاعتراف بالشرب، ثم يختم زجله بتعداد اسماء الخمر ومسمياتها ومنها قهوة والمدام والطلا والحميا والخندريس والراح، قائلا :

والله والله لا تســـــــــتجيب إذ تصـــــــاح
وإذا كنـــــت صـــــاح إذ تصـــــبح
اغســـــل أجـــــك وهلـــــل أو ســـــبح
شـــرط أن قـــال أحـــد اعمـــل لـــي اح
اعمـــــل ات اح وزيـــــد فالســـــاق حـــــاح
وإذا كنـــــت مـــــع فقـــــى أو امـــــام
ويقـــــل لـــــك شـــــربت قـــــط مـــــدام
قـــال لـــه اشـــنه يـــا فقـــى ذا الكـــلام

والله مـــا ذقـــت قـــط شـــرب تفـــاح
فـــان اجمعـــك بيـــه زمانـــا نبيـــل
وعســـى لـــس ذا الصـــبر غيـــر قليـــل
قلـــه لـــه الســـا وجـــدت اليـــك ســـبيل
جـــي نقـــل لـــك بالرســـل أو بالصـــياح
تـــدري إذ قلـــت لـــي شـــربت عقـــار
اه حقـــا كـــن نبتلعهـــا كبـــار
وأنـــا ذاب نحســـوها ليـــل ونهـــار
بشـــرابك وربمـــا اقـــداح
تحفـــظ اســـماه ســـا يقـــل لـــك لا
قـــل لـــه خـــذ نمـــلا منـــه انينـــك مـــلا
هـــي هـــي قهـــوة والمـــدام والطـــلا
والحميا والخندريس والراح

ومن رقيق زجل وصف الطبيعة ما قاله ابن مدغليس في زجله الذي مزج فيه الوان الطبيعة وخيراتها بأصوات الطيور ونسيم الزهر، مما يمتع النظر ويطرب الأسماع وينعش النفوس، في تصوير تشترك فيه جميع الحواس في قوله([٣٤]):

ثـــلاث أشيـــا فالبـــساتين لـــس تجـــد فـــي كـــل موضـــع
النسيـــم والـــخضر والطـــير شـــم وأتنـــزه واســـمع

قـــم تـــرى النـــسيم يولـــول والطيـــور علـــه تغـــرد
والثمـــار تنثـــر جـــواهر فـــي بســـاط مـــن الزمـــرد
وبوســـط المـــرج الأخـــضر ســـقى كالســـيف المجـــرد

شبـــهت بالســـيف لـــما شـــفت الغـــدير مـــدرع

الى اخر القصيدة...

ونلحظ في هذا الزجل انه يكاد اشبه ما يكون بوصف الطبيعة في الشعر الفصيح إذا استثنينا عنصر اللغة، فهو يأتي بأخيلة بارعة وتشبيهات رقيقة واستعارات عذبة وصنعة بديعة محببة.

٣. المدح :

اما غرض المدح فقد حظي هو الآخر بعناية الزجالين، وغالبا ما يكون ممزوجا بموضوعات اخرى، وأحيانا يأتي ممتزجا بأكثر من موضوع([٣٥])، وفي المدح يحاول الزجال ان يخلع على ممدوحه الصفات التي يخلعها الشعراء على ممدوحيهم، ولكن طبيعة الزجل وعاميته لا تسعفه بما يريد فيضطر الزجال الى ان يضفي على ممدوحه ما يريد من فضائل في ثوب عامي الفكر عامي الألفاظ([٣٦])، وممن اشتهر من الزجالين في المدح شاعران هما رواد الزجل في الأندلس . إذا صح العبير . وهما ابن قزمان وابن مدغليس، غير ان ازجال ابن قزمان في المدح، قد اتت تكسبية تشبه الى حدٍ ما الكَدية، فهو لا يتورع عن طلب ابخس الاشياء من الملابس والاكل، ولكنه يأتي بهذا الطلب في صورة زجلية جميلة تكون عادة مضحكة وبروح خفيفة وبهذا الاسلوب يستطيع الزجال استدرار عطاء الممدوحين الى بذل ما يريد ([٣٧])، ونادراً ما ياتي الزجل على المديح وحده ومن ذلك زجل لابن قزمان يمدح فيه القاضي احمد بن الحاج، وقد حصر معاني المدح في نطاق حلبة القضاء، راسما لمجلسه صورة واقعية بعيدة عن الخيال، ومن قوله ([٣٨]):

وصل المظلومْ لحقُّ وانتصفْ غَنِي ومِسكينْ
يحضر الإنكار والإقرار ويقع الفصل فِالحينْ
اجتمع فيه الثلاثة : الورعْ والعلمْ والدِّينْ
فيزول الحق إذا زالْ ويدوم الحق إذا دامْ

وتَـــرى طالـــبْ ومطلـــوبْ لَـــسْ تَـــرى زُوَّارْ وجُـــلاَّسْ
إلا أن كانـــت ضـــرورة كلمـــة كلمتـــين فـــلا بـــأسْ
مُـــرْآتْ يـــا قاضـــي الجماعـــة جـــزاك الله خيـــرْ عـــن النـــاسْ

إن مُـــذْ كنـــت أت حـــاكمْ عَرفـــتْ شـــروط الأحكـــامْ

أيّ نهـــارْ نـــراكْ فـــي دارِكْ وأت قـــد جلســـت للنـــاسْ
والخصـــامْ يعطـــي ويمنعْوالزحـــام وحَـــرّ الأنفـــاسْ
وأنـــت تحكـــمْ فـــي المنـــاكحْ والغصـــبْ والـــدَّينْ والأحبـــاسْ

والمواريـــث والجنايـــات والنظـــر فِـــأموال الايتـــامْ

اما في المواقف الجدية فان ابن قزمان ينقلب تماما فينزع ثوب اللهو والمجون، ويرتدي اثواب الجدية التامة، وقد يدخل الى غرض المدح مباشرة دون مقدمات غزلية او ما شابهها اذا اقتضى الامر، مما يفصح عن الجدية، كما لاحظنا في زجله الذي يمدح فيه يوسف ابن تاشفين امير المرابطين في زجله الذي منه قوله([٣٩]):

مثل ابنِ تَشْفِينْ يُقالْ أميرْ والخلافَهْ مِنْ بعْدُ عادتْ تسيرْ
بارك الله في هاذا الايام
تجي أعوامْ اذا مضت اعوام
ويجعلهمْ سلاطين الاسلام
ونصرهمْ كما هُ نعمَ النصير
ذا هُ سلطانْ كما يُقال سُلطانْ
إنُّ يحكم بالسنّة والقرآن

وذكا لِسْ نَفَس عليه شيطان

ينتلف عنده الذكا ويحير

ما في علمي وما سمعت نقول

ندرِ انك نصرتْ دينْ الرسول

وربطتُ وكان بعدُ محلول

حتى لس كان بقي لُ غير يسير

واستخدم الشاعر في هذا الزجل التصوير الديني للممدوح، ولعل ذلك يعود الى اتجاه الممدوح الديني فاستغل الزجال هذا الاتجاه ووظفه في هذا الغرض لينال حظوة عند الممدوح، وينال اعجابه واستدرار جيبه، وذلك لان التكسب صفة لازمة لابن قزمان.

٤. الهجاء :

كان الزجالون بطبيعتهم يميلون الى الفكاهة والمُلح والتهكم والسخرية الخفيفة وربما تأتي لاذعة مقذعة فاحشة وهذا هو الهجاء، وهو الطرف المناقض للمدح، وقد تمادى الزجالون فيه فكانوا لايتورعون عن ذكر افحش الكلام واقبح الالفاظ، وكان فحشهم واقذاعهم اشد من الهجاء في الشعر الفصيح، ولعل ذلك يعود الى اللغة العامية التي ينظمون بها، وذلك لان حصيلة الفاظ الذم والفحش في العامية اكثر وفرة واستعمالاً منها في الفصحى، ولا ينطبق هذا الكلام على جميع الهجاء في الزجل فهناك ازجال هجائية تتسم بخفة الروح والنكته البارعة مع اصطناع السخرية اللاذعة حينا والفكاهة الخفيفة حيناً آخر([٤٠])، ومن الهجاء الخفيف الروح، ما انشأه أبو على الحسن بن أبي نصر الدباغ وهو امام في الهجاء على طريقة الزجل، فيقول في هجاء حكيم في زجل منه([٤١]) :

إن ريـــت مـــن عـــداك يشـــتكي مـــن تلطـــيخ
وتريـــــد ان يقبـــــر احمـــــل للمـــــريخ

قـــد حلـــف ملـــك المـــوت بجميـــع ايمـــان
إلا يبـــــرح ســـــاعة مـــــن جـــــوار دكـــــان
ويـــــــريح روح ويعظـــــــم شـــــــان
وفســـــاد النيـــــا تحـــــت ذاك التـــــوبيخ

بقيـــــاس الفاســـــد وبـــــدين الحمـــــروج
يخـــــذ الصـــــفراوي ويـــــرد مفلـــــوج
للصـــــحيح لـــــس يســـــمح بمريقـــــة فـــــروج

ويحيـــــل المحمـــــوم علـــــى أكـــــل البطـــــيخ

٥. التصوف :

التصوف كظاهرة ظهر في الاندلس في حوالي القرن السابع للهجرة على يد شيخ الطريقة الصوفية محيي الدين ابن عربي ([٤٢]) وتبعه فيما بعد ابو الحسن الششتري ([٤٣]) وهو اول من استخدم الزجل في التصوف، كما أنَّ ابن عربي كان اول من استخدم الموشح فيه، وللرجلين فضل السبق في هذا المضمار([٤٤]).

ويقول احد الدارسين واصفا ازجال الششتري قائلاً " وأما ازجال الششتري ففيها حلاوة وعليها طلاوة، وأما مقطعات الششتري وازجاله، فلي فيها شهوة واليها اشتياق. وأما تحليتها بالنغمة والصوت الحسن فلا تسل، فأن قدرتم ان تقيدوا منها ما وجدتموه، فأفعلوا ذلك"([٤٥]) ومن زجله الصوفي قوله ([٤٦]):

قـــــد لاَحَ لِيَّـــــا مِنِّـــــي سِـــــر بَـــــدَا عجِيـــــب
حتَّـــــى رأيْـــــتُ أنِّـــــي عَـــــن حضْـــــرتي لا نَغيـــــب

أنـــــا مـــــا زِلْـــــتُ حاضِـــــرْ حاضِـــــر فـــــي كـــــلِّ حـــــين
عينـــــي إليَّـــــا نـــــاظِر نـــــاظِر طُـــــولَ السِّـــــنين
والحـــــق فيَّـــــا ظـــــاهِرْ ظـــــاهر لِـــــذِي يقـــــين

مـــــن قـــــالَ أنـــــا وإنِّـــــي قـــــد أوفـــــى بالمَغيـــــب
إن قيـــــلَ هـــــذا عَنّـــــي قـــــد أحْـــــرمَ النَّصـــــيب

مـــــن هـــــُ يـــــا قَـــــوم ولـــــدِي ولـــــدِي يـــــا قـــــوم آنـــــا
أو تَـــــدروا مَـــــن هُـــــو جـــــدَّي جـــــدِّي سَـــــبقتوا أنـــــا
أنـــــا مـــــا زِلْـــــتُ وحـــــدِي وحـــــدي مـــــا زِلْـــــتُ أنـــــا

ومـــــن حَكَـــــمْ بعَيْنـــــي أخطـــــا ولـــــم يُصـــــيبْ
قُلُّـــــوا إليـــــكَ عنَّـــــي مـــــا أنـــــتَ لـــــي نَســـــيبْ
....
لا تحسِـــــــبوني نَـــــــبْلاَ او نسْـــــــكُنُ القُبـــــــورْ
سِـــــرَّي مـــــا زَالَ يُجْـــــلاَ فـــــي بُسْـــــتان الصُّـــــدورْ
والحضـــــرة بيـــــا أولـــــى مـــــا بَـــــينَ بَنـــــين وحـــــور

وهـــــذا هـــــُ فـــــي ظَنِّـــــي وَقصـــــدي لاَ يَخِيـــــبْ
مَتَـــــى تَـــــرى يـــــا عَيْنِـــــي مَنـــــازِلَ الحبيـــــبْ

وديوان الششتري مليء بالازجال الصوفية لمن اراد الاطلاع على المزيد.

نتائج البحث :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير الانبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه ومن تبعهم باحسان الى يوم الدين.

بعد انجاز هذا البحث المتواضع المضني بعمله لقلة مصادره ولعسر فهم اشعاره وقلة المعرفة بلهجته، فقد توصل البحث الى النتائج الآتية:

١. إن الزجل يحمل من الاغراض ما يحمله الشعر الفصيح، فضلا عن اهميته فيما ينقل لنا صورة واضحة عن مجتمع الاندلس وحياتهم الاجتماعية فمن خلاله يمكن دراسة العادات والتقاليد في المجتمع الاندلسي.

٢. يُعد مصطلح الزجل، مصطلحا عربيا أصيلا كما أثبتته كتب المعاجم اللغوية والمعنى الاصطلاحي الأدبي مأخوذ من المعنى اللغوي لمادة (زجل)، والقرينة الجامعة بينهما هي التطريب والغناء التي خرج اليها المعنيان اللغوي والاصطلاحي.

٣. لم تسعفنا المصادر القديمة والحديثة القليلة التي وقفت عليها في تحديد زمن نشوء الزجل، إلا اننا عرفنا انه تطور للأغنية الشعبية فهي إذن تُعد اصله ومن نشوئها يعد نشوء الزجل وبذلك يكون الزجل اقدم من الموشح إذا اعتبرنا اصله الاغنية الشعبية ولكن هذه الاغنية هي نتاج شعبي ينشأ في بادئ الامر في الازقة والحارات، وحينما يلاقي قبولا من الجمهور فحينها ينتشر ويظهر على الساحة الادبية فلذلك يصعب تحديد نشوء الاغنية الشعبية وبدلك يصعب معرفة نشوء الزجل ولكن على العموم فانه اقدم من الموشح وهذا ما ينافي من قال ان الزجل متولد من الموشح.

٤. لم يستطع البحث تحديد اسم أول من اخترعه، ولكن وقف على من اشتهر الزجل على يده وقنن له ووضع له اسسه وقوانينه، وبذلك يعد هو مبتدع الزجل على شكله النهائي وهو امام

الزجالين ابو بكر بن قزمان (ت٥٥٥هـ) ومن ثم جاء من بعده ابن مدغليس، ثم اشتهر بعده الششتري وهو اول من استعمل الزجل في التصوف.

٥. لاتختلف موضوعات الزجل عن الموضوعات التي تطرق اليها الشعر الفصيح والموشح ولا سيما الغزل ووصف الطبيعة والخمر، والمديح والهجاء والتصوف وغيرها كالفخر والرثاء إلاّ أنّها قليلة بالنسبة للأغراض الاخرى.

وهذا العمل هو محاولة مني للكشف عن ابواب الزجل وان لم تسعفنا المصادر القليلة لتحقيق ما نبغية ولكن نأمل ان نفتح الباب لدراسة موسعة في هذا الفن، وخاصة مانلاحظ من فتور واضح لدي الباحثين في دراسة هذا الفن،وهو فتور لا يتناسب مع أهميته وإبداعه، ومن هنا نلفت انظار الباحثين والدارسين الى انه يمكن ان يُدرس فيه عادات وتقاليد مجتمع اسلامي قد محت الصليبية اثار حضارة دامت مشرقة لثمانية قرون وافلت بعد سقوطها بيد الاسبان. فضلا عن دراسته دراسة فنية وموضوعية او دراسته تراثيا من خلال مضامينه الدينية والتاريخية والاجتماعية والأدبية.

وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين، وافضل الصلاة والسلام على النبي الامين وعلى آله وصحبه اجمعين ومن تبعهم باحسان الى يوم الدين.

هوامش البحث:

(١) تهذيب اللغة،ابو منصور محمد بن أحمد الأزهري، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي – بيروت – ٢٠٠١م، الطبعة: الأولى : ١٠ /٣٢٥. والعين،الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: د مهدي المخزومي / د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال : ٦/ ٦٧

(٢) لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، دار صادر– بيروت، الطبعة: الأولى: ١١ / ٣٠٢. مادة (زجل)

(٣) المنجد في اللغة، دار المشرق بيروت، ط٣٣، سنة ١٩٩٢م : ٢٩٤.(حرف الزاي)، مادة (زجل)

(٤) العاطل الحالي والمرخص الغالي،، صفي الدين الحلي، طبعة فيسبادن . المانيا ١٩٥٥ م :١٦. نقلا عن دراسات في الأدب الأندلسي، سامي مكي العاني مديرية دار الكتب للطباعة والنشر- بغداد،د.ت :٢١٦.. وينظر: دراسات أندلسية، سامي احمد الموصلي، ساعدت وزارة الثقافة والأعلام على نشره، مطبعة الزمان . بغداد ١٩٧٠، ط١ : ٧.

(٥) تاريخ ابن خلدون، دار الكتاب اللبناني . بيروت ١٩٨١م : م١/ ١١٥٧.

(٦) المُغرب في حلى المغرب، ابن سعيد، تحقيق: د. شوقي ضيف، دار المعارف . مصر ١٩٦٤م : ١ / ١٠٠.

(٧) تاريخ الفكر الأندلسي، ترجمة حسين مؤنس، مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية . جامعة حلب ٢٠٠٠ . ٢٠٠١م ط١ : ١٤٣.

(٨) ينظر : العاطل الحالي والمرخص الغالي :١٦. نقلا عن دراسات في الأدب الأندلسي : ٢٢٩.

(٩) ينظر تفاصيل الخلاف : تاريخ الأدب الأندلسي عصر الطوائف والمرابطين، د. احسان عباس، دار الثقافة . بيروت ١٩٦٢م ط١ : ٢٢٢،٢٥٥.٢٦٢، تاريخ الأدب العربي عصر الدول والإمارات في الأندلس، د. شوقي ضيف، مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية،جامعة حلب ٢٠٠١م : ١٦٣ . ١٧١. وينظر : دراسات أندلسية : ١٠ . ١٩.

(١٠) العاطل الحالي : ١٧-١٨.نقلاً عن : الأدب العربي في الأندلس، د. عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية . بيروت ١٩٧٥ ط١ : ٤١٠

(١١) تاريخ الأدب الأندلسي عصر الطوائف والمرابطين : ٢٥٧.

(١٢) ينظر : التجديد في الأدب الأندلسي، د. باقر سماكة، دار الجنائن، مطبعة الإيمان . بغداد ١٩٧١ ط١ : ٩٢.٩١. وينظر : الأدب العربي في الأندلس : ٣٩٦ . ٣٩٩.

(١٣) ينظر ترجمته: موسوعة شعراء العصر الأندلسي، محمد العريس، دار اليوسف . بيروت ٢٠٠٥ م :٣١٩، وينظر: الزجل في الأندلس، د. عبد العزيز الاهواني، القاهرة ١٩٥٧م : ٦٧. ١٠٦.

(١٤) الأدب العربي في الأندلس : ٣٩٩، وينظر ترجمة مدغليس في : موسوعة شعراء العصر الأندلسي: ٣٦٨، وينظر أيضا: الزجل في الأندلس : ١٠٦ . ١١١.

(١٥) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الكتاب العربي . بيروت، وبولاق ١٣٠٢هـ : ٣/ ٣٨٥.

(١٦)مقدمة ابن خلدون، تحقيق كاترمير، المطبعة التجارية بمصر ١٩٥٧م : ٣/ ٤١١ .وينظر تاريخ ابن خلدون : م١/ ١١٥٣. و نفح الطيب : ٧ / ١٥.١٤.

(١٧) ظهر الإسلام، دار الكتاب العربي . بيروت ٢٠٠٥م، ط١: ٣/ ٥٠٩

(١٨) م، ن : ٣/ ٥٠٩

(١٩) م، ن : ٣ / ٥٠٧.

(٢٠) نفح الطيب : ٣ / ١٩١. وينظر : فضائل الأندلس وأهلها.ثلاث رسائل لابن حزم وابن سعيد والشقندي، جمعها ونشرها د. صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد . بيروت : ٣٣.

(٢١) ظهر الإسلام : ٣ / ٥٠٦.

(٢٢) الزجل في الأندلس : ٢-٣. وينظر: مدخل إلى الأدب الأندلسي، يوسف الطويل، دار الفكر اللبناني . بيروت ١٩٩١، ط١ : ١٨٣.

(٢٣) ينظر : ص٣ من هذا البحث.

(٢٤) الفنون الشعرية غير المعربة ج٢ الزجل في المشرق، د. رضا محسن حمود القريشي،دار الحرية للطباعة،منشورات وزارة الاعلام . العراق، ١٩٧٧م : ١٢٤ .

(٢٥) الأدب الأندلسي موضوعاته ومقاصده، د. مصطفى الشكعة، دار النهضة العربية . بيروت ١٩٧٢: ٤٦٠.

(٢٦) المغرب : ٢/١٢٠ . ١٢١.

(٢٧) دار الطراز في عمل الموشحات، ابن سناء الملك، تحقيق :جودت الركابي، دمشق ١٣٦٨هـ :٣٢. نقلا عن الزجل في المشرق : ١٢٧.

(٢٨) موسيقى الشعر، إبراهيم أنيس، القاهرة ١٩٦٥ : ٢٢٢.

(٢٩) ولمعرفة المزيد عن تفاصيل أجزاء الزجل، ينظر : الزجل في المشرق : ١٢٣ . ١٢٩ .

(٣٠) المغرب :١/١٦٩ .١٧٠

(٣١) قضايا أندلسية، بدير متولي حميد، دار المعرفة القاهرة، ١٩٦٤م : ١٣١.

(٣٢) المغرب : ١/ ١٧٤ . ١٧٥

(٣٣) ن، م :١/١٧٠ .١٧٢

(٣٤) ن، م :١/١٧٠ .١٧٢

(٣٥) ينظر: الادب العربي في الاندلس : ٤٠٤.

(٣٦) ينظر : الأدب الأندلسي موضوعاته ومقاصده : ٤٥٦.

(٣٧) ينظر : تاريخ الادب الاندلسي عصر الطوائف والمرابطين : ٢٦٨.

(٣٨) الزجل في الاندلس : ٢٠١، وينظر: الأدب العربي في الاندلس : ٤٠٥ .٤٠٦.

(٣٩) ورد هذا الزجل في :تاريخ الادب الاندلسي عصر الطوائف والمرابطين : ٢٧٠-٢٧١ وللمزيد من الشواهد ينظر ما بعده الى :٢٧٤.

(٤٠) ينظر : الأدب الأندلسي موضوعاته ومقاصده : ٤٥٨.

(٤١)المغرب : ١ / ٤٤٠

(٤٢) هو ابو بكر محيي الدين محمد بن علي الطائي المتوفي سنة ٦٣٨هـ، شيخ الصوفية وقاطبها وواضع منهاجها واساسها في الاندلس والمشرق الاسلام واعطاها روحا فلسفيا. ينظر : موسوعة شعراء العصر الاندلسي : ٢٤٩.

(٤٣) هو علي بن عبدالله النميري الششتري اللوشي ويكنى ابا الحشن وشهرته بالششتري، ينظر : ديوان ابي الحسن الششتري شاعر الصوفية الكبير في الاندلس والمغرب، تحقيق : علي سامي النشار، دار المعارف. القاهرة ١٩٦٠ : ٦.

(٤٤) ديوان الششتري : ٧.

(٤٥) الرسائل والمسائل، ابن عباد الرندي : ٦٧/١.نقلا عن ديوان الششتري : ٤.

(٤٦) ديوانه : ٩٢.٩٤.